

الخميس 28-08-2008

363-أحلام فترة النفاذة "نص على نص"

نص اللحن الأساسي (حلم 85)

هذه محطة ترام وأنا حائر بين أبعادها لانتظار مجئ ترام ما، ولكن ترقى لسطوع القمر في النفاذة المطلة على المحطة حيث أختلس نظرة بعد نظرة. وأتمادى في الطلب وما أكثر الأصدقاء الذين يسألونى. حتى متى تبقى وحشتى. ولكن أنا في رحلة لا مفر منها كأنها قضاء وقدر، والحق أنها رحلة شاقة مرهقة وأطول مما تصورت وعند العودة لم يتبين لى إلا قفص مربع هو النفاذة ووجدتها بموضعها ولكنها بدت واهمة لا تستجيب ولا تجيب، وكما كنت بالأمس، وقفت تحت النفاذة منتظرا غير عابء بالمارة وأخيرا هبط على صوت حديث كالهمس يتخلله ضحك مكتوم.

ثم سمعت صوتا يتساءل:

- ما حكاية الرجل الذى يقف تحت النفاذة؟

فأجابه صوت ضحكتها:

- إنه يبكى عن ذكرى حبيب ومنزل.

التقاسيم:

...شككت في نفسى، فأنا صحيح أقف من مدة تحت النفاذة، لكننى لم أصدر أى صوت، ولا أنا بكيت أصلاً، فالتفت إلى يميني فوجدته يبكى بجرقة وتساءلت كيف لم أسمع وهو بكل هذا القرب؟ ورحت ألوم نفسى أنى لست أنا الذى كنت أبكى، وتصورت أنه كان على أن أبكى وأنشج بصوت مرتفع حتى تسمعنى، وقد تتعطف على بإطالة، أو على الأقل أنال نصيبي من هذه التعليقات الحانية الساخرة معاً.

لاحظت أن دموع الرجل مجوارى تسيل فعلاً بغزاره، وهو غارق في صمته، ثم أخذت الدموع تتجمع، وتتوالد، وتتكاثر، ثم تتدفق بسرعة مذهلة، وكأنها شلال يهدر، حتى راحت تحفر في الأرض مجرى سرعان ما اتسع وصار نهراً جارياً يتلألأ ضوء القمر على صفحته، فقفزت إلى الزورق الذى اقترب من الشاطئ وكأنه يدعوى شخصياً إليه.

وجدتني بين الأصدقاء الذين كانوا يسألونى عن وحشتى وحتى

متى تبقى، ودون أن أجيبهم وصلهم جوابي، مؤتسنا بهم، فأداروا جرامافونا راح يصدح بصوت عبد الوهاب "أنا راح زمانى هدر، ولا كانش عندك خير"، فتغيرت حالى، وأفقت ممتلنا رعبا، ورحت أجرى حتى قفزت إلى الماء دون تردد، وعجبت أنهم لم يحاولوا أن يحولوا بينى وبين ذلك، ولا حاول أحدهم اللحاق بي لإنقاذى.

يتغير المنظر لأجدنى فى ترام آخر، ليس تراما تماما، وسمعت الميكرفون يعلن وصول الديزل الأسبانى إلى محطة طنطا، ووجدتها تركب القطار وتوجه إلى الكرسى الوحيد الخالى بجوارى، فتزحزت قليلا نحو النافذة، لكنها مضت فى الممر حتى تجاوزتني، واستمرت حتى نزلت من باب العربة الناحية الأخرى،

وقام القطار مواصلا رحلته إلى الاسكندرية وقد عادونى رعب الزورق والأغنية، ونظرت من النافذة، لكن القطار كان يسير بأقصى سرعته.

(حلم 86) كلفت مجمل رسالة إلى المرحوم الدكتور حسين فوزى، فقلت له إن معى عرضا لإعادته فى الخدمة مع زيادة ملموسة فى الراتب. وتخصيص حجرة فاخرة لمقامك.

ضحك الدكتور وقال إنه لا يهمه الراتب ولا الحجرة، ولكن يهمه احترام فكره وكرامته.

ورجعت وفى يقينى أن مهمتى قد فشلت.

التقاسيم:

... فرحت بفشلها وكنت تمنيت ألا تنجح، لكن ما أن وصلت إلى منزل حتى دق جرس التليفون، ووجدت أن المتحدث هو الدكتور حسين فوزى، ودق قلبى خوفا من شئ ما، تحققت محافى حين سألتى دون مقدمات تبريرية: هل عندك فكرة كم ستكون الزيادة فى الراتب، فأجبت أنه لست متأكدا ولكنى سمعت أنها ستكون إلى الضعف، فقال لى: قل لهم أننى قبلت العرض على شرط أن أقتسم الزيادة مع صديقنا توفيق الحكيم، أبديت دهشتى ولم أقل له، وماله توفيق الحكيم بالموسيقى، فقال: عندى مشروع سرى أنا وهو لم نخرج به لأننا نعلم أنه لا تَبَلُّ فى فمك قوله، قلت معترضا، مع أننى أعرف صدق قوله: أنا؟ قال نعم، ومع ذلك سوف أقوله لك: إنه مشروع تحديث الحضارة الغربية بما يليق بهم.

قلت له فى دهشة بالغة: بهم أم بنا؟

قال مؤكدا: بهم، مالنا نحن والحضارة من أصله

قلت: أليسو هم أولى بتحديث أنفسهم

قال: نعم

قلت: فماذا إذن؟

قال: خلاص، أنا عند رأى الأول، أبلغهم أننى رفضت العرض جملةً وتفصيلا، الآن ومستقبلا.